الإمام المحدّث عبد الحق الدّهلوي

ودوره في إحياء المجتمع الإسلامي في شبه القارّة

الأستاذ محمود أحمد غازي

لا زال المجتمع الإسلامي في شبه القارة ممتازاً بصبغة صوفية عميقة ، وذلك لأن الإسلام في هذه المنطقة من الأرض شاع على أيدي كبار الصوفية ؛ فأول من رحل إلى الهند من الصوفية وقام بتبليغ الإسلام بين الوثنيين هو الشيخ على الهجويري الذي نزل في لاهور ومكث أعواماً طوالاً يدعو الناس إلى ربهم ويبلغ إليهم رسالة الإسلام الخالدة ، حتى توفي إلى رحمة الله ، ودفن بلاهور ، وضريحه موجود حتى الآن يتبرك به العامة . ثم تلاه الشيخ معين الدين الاجميري الذي توطن مدينة من أهم مراكز الحكم الهندوكي والثقافة الهندوكية قبل الحكم الإسلامي ، وهي مدينة أجمير . والشيخ معين الدين الأجميري هو الذي أنشأ في الهند الطريقة الصوفية الجشتية التي لا زالت من أكبر الطرق الصوفية في شبه القارة وأعمقها تأثيراً . وخلف الشيخ معين الدين الأجميري جماعة كبيرة من تلامذته ومن الذين تأثروا به واعتنقوا الإسلام على يديه .

ولما أرسى السلطان قطب الدين الأيبك قواعد الحكم الإسلامي في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

شبه القارة وجعل مدينة دهلي حاضرته توافدت إليه جماعات من العلماء والفقهاء وكان ذلك بطبيعة الحال ؛ فإن الصوفية وإن كانت جهودهم جبارة في تبليغ الدين ودعوة الإسلام ما كان من الممكن لهم القيام بمناصب قضائية وإدارية في جهاز الحكم الإسلامي وإنما وظيفة العلماء والفقهاء إقامة نظام القضاء والفُتْيا والاحتساب ، فلم تمض على قيام الدولة الإسلامية مدة طويلة حتى ظهرت بين الصوفية والعلماء المنافسة الطبيعية التي تظهر في مثل هذه الأحوال ، فنرى العلماء ينتقدون الصوفية لاستخفافهم بشأن الفقهاء وإهمالهم للأحكام الفقهية ، ونرى الصوفية ينتقدون العلماء لتشديدهم في أمور غير مهمة وتوكيدهم الزائد على ظاهر الدين وإهمالهم روحه وباطنه .

ولم تلبث هذه المنافسة والصراع بين العلماء والمتصوفة حتى رأت بواكير حركة جديدة بدأت تظهر للجمع بين الفقه والتصوف ، وذلك على يدي العلماء الذين تضلعوا من علوم الفقه والشريعة ثم علوا من مناهل التصوف والروحانية .

ولعل أول محدث يجدر بالذكر من علماء شبه القارة الذي عمل لنشر علم الحديث في هذه البقاع هو الإمام المحدث اللغوي حسن الصغاني اللاهوري مؤلف « مشارق الأنوار » في علم الحديث وهو صاحب « العباب الزاخر واللباب الفاخر » في اللغة - ولد في سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م في بدايون ولكنه لم يمكث في الهند مدة طويلة ، ورحل إلى بغداد حيث استقبله علماؤها وذووها بحفاوة بالغة وإجلال كبير ، ولا يحتاج الإمام الصغاني إلى أي تعريف فإنه شاع صيته في العالم الإسلامي بمؤلفاته الشهيرة التي أخذتها علماء كل العصور بالقبول . أخذ العلم عن علماء الهند وبلاد خراسان (أفغانستان الحالية وما جاورها) ثم رحل إلى البلاد العربية وتلمذ لعلماء العراق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والحرمين الشريفين ، ثم تردد إلى الهند مراراً ورجع إلى العراق حيث توفي ولكنه دفن في مكة المكرمة . قال الذهبي : إن اليه المنتهى في اللغة . وقال الدمياطي : إنه كان إماماً في اللغة والفقه والحديث . له مشارق الأنوار في الحديث ومصباح الدجى في الحديث أيضاً ومجمع البحرين في اللغة والنوادر ، وله شرح على صحيح البخاري وغير ذلك (١) .

ويروي لنا المؤرخ ضياء الدين البدايوني أن الشيخ شمس الدين ترك ، أحد كبار المحدثين في البلاد العربية أراد أن يقيم في الهند ويقف نفسه لنشر علم الحديث ، فغادر بلاده ورحل إلى الهند ومعه أربع مائة كتاب في علم الحديث ، ولكنه لما وصل إلى ملتان علم أن العاهل الهندي علاء الدين الخلجي يتكاسل في أداء الصلوات الخمس فقال : أنا لا أريد الإقامة في بلد يتكاسل حاكمه في أداء واجبات الدين ، ورجع إلى بلاده .

ولكن المحدث الذي يبدأ به العهد الزاهر في تاريخ علم الحديث في شبه القارة هو المحدث الجليل على بن حسام الدين المتقي القادري (٨٨٥ هـ - ٩٧٥ هـ) الذي ولد في برهانبور ، وبعد أن حصل على العلوم بدرجة لابأس بها رحل إلى الحجاز حيث تلمذ لكبار علمائها وخاصة منهم الشيخ أبو الحسن البكري ، ومكث الشيخ على المتقي مشتغلاً في خدمة الحديث حتى آخر لحظة من حياته ، ولما راجع كتاب « جمع الجوامع » للعلامة السيوطي قال أستاذه الشيخ أبوالحسن البكري : إن للسيوطي منة على العالمين وللمتقي منة عليه . ومن أهم تآليف الشيخ علي المتقي وأشهرها كتاب « كنز العمال » . وتوفي بمكة المكرمة .

---

(١) راجع لترجمته المفصلة : نزهة الخواطر ، ج ١ ص ١٢٧ - ٤١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأما شبه القارة فنراه خالياً بأسره من علم الحديث في القرن العاشر الهجري . ويروي لنا الأستاذ المؤرخ خليق أحمد النظامي أن هذا القرن لم يرَ إلا محدثين جديرين بالذكر في شبه القارة وهما :

١ — الحاج إبراهيم القادري

٢ — والشيخ اسماعيل اللاهوري .

أما الحاج إبراهيم القادري فولد في مانكبور وتوفي عام ١٠٠١ هـ وتعلم الحديث في بغداد حيث أقام ثلاث سنوات ثم رحل إلى مصر وقرأ الحديث على الشيخ شمس الدين العلقمي وحصل على الإجازة من الشيخ محمد بكري الشافعي ، ثم أتى مكة المكرمة وتلمذ لكبار المحدثين في رحاب بيت الله العتيق ، فمنهم الشيخ عبد الرحمن بن فهد المغربي والشيخ مسعود المغربي والمحدث الهندي الكبير الشيخ على المتقي السالف الذكر ؛ فبعد أن حصل على حظ أوفر من علم الحديث رجع إلى مصر واشتغل في تدريس علم الحديث هناك لمدة أربع وعشرين سنة ، بعد ذلك غلبه الحنين إلى موطنه ومسقط رأسه فغادر مصر إلى الهند وأقام بأكره حيث اشتغل في خدمة الحديث وتوفي وهو يناهز التسعين من عمره[1] .

على الرغم من خلو شبه القارة من أي نشاط ملموس في خدمة الحديث كانت منطقة كجرات (على ساحل بحر العرب) عامرة بنشاط كبير واسع في خدمة علم الحديث حيث قام بها العلماء تدريساً وتأليفاً . ونذكر فيما يلي

---

(١) انظر ترجمته في المصادر الآتية :

١ — كلزار ابرار — طبع لاهور الترجمة الاردوية

٢ — منتخب التواريخ للبدايونى ج ٣ ص ١٣٩

٣ — حياة الشيخ عبد الحق للنظامي ص ٤٠ — ٤١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بعض ما قام به علماء كجرات من خدمة الحديث النبوي في القرن العاشر .

١ أعد الشيخ مير سيد عبد الأول المتوفى ٩٦٨ هـ شرحاً على صحيح البخاري وأسماه بفيض الباري (١) .

٢ - وكتب الشيخ المحدث محمد بن طاهر الفتني شرحاً وافياً على أحاديث الكتب الصحيحة الستة باسم « مجمع بحار الأنوار » ، كما ألف رسالة في لغات المشكاة (٢) . والعلامة الفتني فاق أقرانه الهنديين وأعترف بفضله في علم الحديث علماء الشرق والغرب . ولد بفتن من بلاد كجرات سنة ٩١٣ هـ ونشأ بها وحفظ القرآن قبل أن يبلغ الحلم وتلمذ على كبار علماء كجرات حتى برع في عدة فنون وفاق أترابه في كثير منها ، ثم شد رحله إلى الحرمين الشريفين سنة ٩٤٤ هـ وهو ابن إحدى وثلاثين ، وأخذ العلم عن الشيخ أبي الحسن البكري والشيخ الشهاب أحمد بن حجر المكي والشيخ على بن عراق والشيخ على المتقي الذي لازمه كثيراً كما ذكره في مقدمة كتابه « مجمع بحار الأنوار » ورجع إلى الهند واشتغل بتدريس الحديث والتصنيف والتأليف .

وكان ممتازاً بصلاحه وورعه وعلمه ، ولم يبلغ أحد مبلغه من أقرانه في علم الحديث . وكان قد ورث من أبيه مالاً كثيراً فكان ينفقه على طلبة العلم ، وكان من عادته أن يختار للعلم صبياناً من الكتاتيب ويعلمهم وينفق عليهم من ماله ثم يأتي بعدهم بصبيان آخرين .وترك مجموعة كبيرة من مؤلفاته

---

(١) أخبار الأخيار (بالفارسية) للإمام عبد الحق الدهلوي — ص ٢٤٥

(٢) مصدر سابق ص ٢٧٢ - ٢٧٣ — كلزار ابرار ص ٣٢٢ ، حدائق الحنفية للعلامة الجهلمي ص ٣٨٥ — ٣٨٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

القيمة منها « مجمع بحار الأنوار » ، و « لطائف الأخبار في غريب الحديث » ، و « تذكرة الموضوعات » ، و « المغني في أسماء الرجال » . وكان رحمه الله من أشد المنتقدين للحركة المهدوية ، فهجم عليه جمع منهم يوما وقتلوه ، وذلك في سنة ٩٨٦ هـ - فدفن في مسقط رأسه فتن (١) .

٣ وألف الشيخ هبة الله الكجراتى المتوفى ١٠٠٥ هـ رسالة في أقسام الحديث . وكان الشيخ هبة الله الكجراتى الشيرازي من كبار العلماء ومن مواليد شيراز ، وتلمذ على كبار علماء شيراز منهم الفيلسوف الإيراني الشهير بل إمام الفلاسفة الإيرانيين في عصره صدر الدين الشيرازي صاحب الأسفار الأربعة ، وأخذ الحديث عن كبار محدثي شيراز ، ثم أتى الهند ودخل كجرات سنة ثمان وتسعين وثمانمائة فحشد إليه الطلبة من جميع أكناف الهند ، وله مؤلفات عديدة في الفلسفة والمنطق والتفسير وأصول الحديث والهيئة (٢) .

٤ وكتب الشيخ الطيب البرهانبوري حاشية على مشكاة المصابيح .

٥ - وكتب الشيخ عثمان الصديق تلميذ الشيخ وجيه الدين العلوي شرحاً على صحيح البخاري (٣) .

٦ - وقرأ الشيخ عبد الملك العباسي علم الحديث عن أخيه الشيخ قطب الدين وهو عن الإمام السخاوي عن الحافظ ابن حجر العسقلاني . وكان الشيخ عبد الملك العباسي دائماً يكب على مطالعة صحيح البخاري

---

(١) نزهة الخواطر ج ١ ص ١٣٧ - ١٤١ .

(٢) نزهة الخواطر - ج ٤ ص ٣٨٨ - ٣٨٩

(٣) حياة الشيخ عبد الحق (بالاردوية) للأستاذ خليق أحمد النظامي ص ٤١ - ٤٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ودراسته حتى حفظه من أوله إلى آخره (١) . ومن ناحية أخرى نرى المؤرخ عبد القادر البدايوني يقول : إن القرن العاشر الهجري شاهد كثيراً من الناس يطعنون في علوم الفقه والتفسير والحديث ويفضلون عليها علوم النجوم والفلسفة والطب والحساب والشعر والقصص وما إليها (٢) ، ولكننا نرى مع ذلك أن علماء الهند في القرن العاشر لم يغفلوا عن الاهتمام بعلم الفقه إهتماماً غير قليل ، ولئن كان إسهامهم في هذا المجال مقتصراً على تأليف الحواشي وإعداد الشروح على المتون الفقهية القديمة إنه كان ، والحق يقال ، إسهاماً يجدر ذكره في تاريخ تطور العلوم . ونذكر فيما يلي بعض الكتب الفقهية التي ألفها فقهاء الهند في القرن العاشر الهجري (٣) :

١ - الشيخ معين الدين العمراني :

أ - حاشية على التلويح ب - حاشية على الحساني

ج - حاشية على المنار د - حاشية على كنز الدقائق

٢ - مولانا أبو حفص سراج الدين عمر بن إسحاق :

أ - حاشية على المنار ب - شرح على الهداية المرغيناني

ج شرح الجامع الصغير د - شرح الجامع الكبير

هـ - شرح المختار

٣ - الشيخ سيد يوسف الملتاني :

أ - حاشية على المنار

---

(١) كلزار أبرار ص ٣١١ - النظامى : مصدر سبق .

(٢) منتخب التواريخ للبدايونى ج ٢ ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٣) خليق النظامي : مصدر سابق ص ٤٥ - ٤٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٤ – القاضي حميد الدين الدهلوي :

أ – شرح الهـــداية

٥ – زين الدين بن عبد العزيز :

أ – قرة العين في الفقه الشافعي

وأما في الناحية السياسية فقد شاهد القرن العاشر الهجري تطورات هامة متعددة النواحي في شبه قارة الهند والباكستان ، فرأى انهيار حكم سلالات الأفاغنة وقيام الامبراطورية المغولية التي وصلت بالحكم الإسلامي في هذه البلاد إلى أرقى درجاته ، وكفى هذه السلالة فخراً أن كان بينها السلطان الصوفي العالم الفقيه أبو المظفر محيي الدين محمد أورنك زيب عالمكير بادشاه غازي الذي أعاد إلى شبه القارة مُثُل الحكم الإسلامي العالية واختار تقاليد الخلفاء الراشدين في السياسة ونظام الحكم حتى عده البعض سادس الخلفاء الراشدين بعد الخلفاء الأربعة وسيدنا عمر بن عبد العزيز .

واتخذ حكام هذه الامبراطورية خطة التسامح جرياً على سنة سلفهم من الحكام المسلمين في شبه القارة ، وبلغ تسامحهم بادىء ذي بدء إلى أن أصهر الامبراطور جلال الدين إلى العائلات الهندوكية وبنى بعديد من الأميرات الهندوكيات حتى جاوز بتسامحـــه إلى مجاملة الهندوكيين وأرباب الديانات الوثنية الأخرى في شبه القارة حتى تعدى الأمر إلى ابتداع نحلة جديدة تضم المبادىء المختارة من جميع أديان شبه القارة وتذوب فيها جميع المعتقدات والأديان والملل والنحل الهندية لتؤدي هـذه النحلة الجديدة بدورها إلى توحيد البلاد كلها . وكان معنى ذلك القضـــاء على المكانـة الحكومية والاجتماعية التي كان الدين الإسلامي الحنيف يحتلهـــا في الامبراطورية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الإسلامية . فإن الإسلام وغير الإسلام ضدان لايجتمعان ومحاولة الجمع بين الإسلام وغير الإسلام قضاء على الإسلام . ولكن الأمة الإسلامية في شبه القارة لم تتغافل عن هذه المؤامرات ، ولم يعد شبه القارة خالياً من زعماء عباقرة الفكر والعمل الذين نهضوا لمعارضة هذه الحركة الهدامة ؛ فقام رجال مؤمنون مجاهدون في جميع مجالات الحياة يكافحون ضد هذه الموجة الإلحادية ، وكان بين من نهض لهذه المهمة رجلان عبقريان يفتخر بهما تاريخ شبه القارة الإسلامي وهما : الإمام المجدد أحمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي والإمام المحدث عبد الحق الدهـــلوي[1] . وألف كاتب هذه السطور كتاباً حافلاً عن تاريخ الإمام المجدد أحمد بن عبد الأحد الفاروقي استعرض فيه بالنقد ديانة أكبر الهدامة المعروفة بالدين الإلهي وبحث عن أسباب ظهور هذه الحركة الإلحادية وبسط فيه القول عن كفـاح الإمام التاريخي وجهاده الأكبر للقضاء على القوى المضـادة للإسلام وعن تأثيره العميق في المجتمع الإسلامي في شبه القارة . ولكن هذا الكتاب لم يطبع حتى الآن . وفي هذه المقالة الموجزة نأتي بلمحات عابرة عن حياة الإمام المحـدث عبد الحق الدهلوي وجهوده الإصلاحية مع تعريف موجز بمؤلفاته القيمة في مختلف المواضيع الإسلامية .

ولد الإمام المحدث في شهر محرم ٩٥٨ هـ / ١٥٥١ م في مدينة دهل وكان ذلك في عهد الامبرطور الأفغاني إسلام شاه السوري ، وهذا من العجب العجاب ومن أغرب المصادفات أن في الشهر نفسه وفي السنة نفسها ولد أبو الفضل ، ذلك الطاغوت الأكبر الذي كان من أئمة الموجة الإلحادية التي ظهرت في عهد امبراطور المغول جلال الدين محمد أكبر الذي ابتدع تلك

(١) انظر ترجمته في المصادر الآتية : ١ – كلزار أبرار – طبع لاهور الترجمة الاردية ٢ – منتخب التواريخ للبدايوني ج ٣ ص ١٣٩ ، حياة الشيخ عبد الحق النظامي ص ٤٠ – ٤١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الخبيثة التي سماها بالدين الإلهي . وكان أبو الفضل من كبار مؤسسي هذه النحلة الهدامة .

وأول من أتى إلى الهند من أجداد الإمام المحدث هو آغا محمد البخاري الذي هاجر عن بلاده في القرن الثالث عشر من الميلاد بعد ما قام به المغول من حملات همجية وغارات عنيفة ضد الإسلام والإنسانية والمدينة والحضارة عبر القارة الآسيوية ، وأقام في الهند في عهد السلطان عـــلاء الدين الخلجي . ومن المعلوم أن السلطان علاء الدين الخلجي هو الذي بلغ المجتمع الإسلامي في عهده ذروة رقيه وقمة كماله علماً وثقافة وسياسة . ومكث أولاد آغا محمد البخاري وأحفاده أصحاب علم وثروة وجاه ومنزلة . وكان والد الإمام المحدث الشيخ سيف الدين بن سعد الله بن فيروز رجلاً عالماً شاعراً أديباً ؛ ولد ونشأ بدهلي وأخذ العلم عن الشيخ عبد الملك بن عبد الغفور والشيخ أمان الله الباني بتي وعن غيرهما من العلماء والمشايخ وصحبهم وأفاد منهم ، وأخذ الطريقة عن الشيخ أمان الله المتوفي ٩٥٧هـ / ١٥٥٠ م . وكان مغرماً بمطالعة الكتب . ورأى الأستاذ خليق النظامي نسخة خطية من كتاب « الكاشف في أسماء الرجال » للإمام الذهبي في المكتبة الخاصة للأستاذ حبيب الرحمن الطيب في « داكا » ، وكانت هذه النسخة في ملك الشيخ سيف الدين ، وعليها عبارة بخطه . وله مؤلفات في التوحيد والتصوف ، وكان شاعراً مجيداً ، وترك قصائد ومقطوعات شعرية . مات لثلاث بقين من شعبان سنة تسعين وتسع مائة (١) .

---

(١) نزهة الخواطر ، ج ٤ ص ١٣١ ـ أخبار الأخيار .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في ظل هذا الأب الفاضل تربى الإمام المحدث عبد الحق ورباه والده تربية جميلة . وبدأ بتعليمه منذ صباه ، فكان ينبته نباتاً حسناً ويعلمه مكارم الأخلاق ومحاسن العادات وينصحه ألا ينازع أحداً في مناقشة علمية ، ولا يؤذي أحداً بقوله ولابفعله ، وأن يعترف بالحق أينما كان ومن أي كان ، وأول ما علمه والده الكريم هو القرآن المجيد الذي فرغ من قراءته وحفظه في مدة سنة واحدة ، ثم صرفه إلى تعلم الكتابة وحصل عليها في شهر واحد ، وبعد ذلك بدأ في قواعد اللغة العربية ، وقواعده كتب منها ميزان الصرف ومختصراً لكافية ابن الحاجب وما إليها حتى أتم جميع دراساته وهو ابن ثماني عشرة سنة .

وكان مكباً على مطالعة الكتب منذ صباه ، وكان يرغب عن الملاهي والملاعب مائلًا عن مصاحبته أترابه من الأطفال والصبيان ، ويقول هو نفسه إنه لم يأكل قط ملء البطن ولم يستوعب ليلًا كاملًا بالنوم[1] . حتى كان أبواه يلومانه على إفراطه في المطالعة والدراسة وينصحانه أن يعتنى باستراحته وصحته . وعلى الرغم من ولوعه بمطالعة الكتب كان رحمه الله يرغب في العبادات والنوافل ، فيقوم من نصف الليل ويصلي صلاة التهجد ويتلو ماتيسر من آي الذكر الحكيم .

وبعد أن فرغ من تحصيل علوم اللغة العربية والكلام والمنطق وبرع بها تلمذ على علماء ماوراء النهر ، وتلقى منهم الفقه والحديث ، ثم اشتغل في تدريس شتى العلوم لبضع سنوات في مدارس دهلي قبل أن يشد رحله إلى الحجاز .

---

(١) أخبار الأخيار ص ٣٠٢ – ٣٠٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كان من أمنية المدرس الشاب عبد الحق الدهلوي أن يتشرف بزيارة الحرمين الشريفين ويتلمذ لعلمائها ويقرأ منهم الحديث النبوي ، فلما كان ابن ثمان و ثلاثين تيسر له ذلك فغـــادر موطنه ومسقط رأسه دهـلي في سنة ٩٦٦ هـ الموافق ١٥٨٧ م متوجهاً إلى الحجاز . ولكنه لمّا وصل إلى ميناء كجرات علم أن السفينة قد رحلت فمكث في كجرات سنة كاملة ينتظر رحيل سفينة أخرى ، وخلال إقامته بكجرات تشرف مراراً بزيارة الشيخ وجيه الدين العلوي الكجراتي أحد كبار علماء كجرات الذي مكث على تدريس العلوم الدينية حوالي سبعة عقود وذلك بالإضافة إلى تأليف عدة كتب .

فلما وصل الطالب الشاب عبد الحق إلى مكة المكرمة اقتنته حلقة درس المحدث الكبير الشيخ عبد الوهاب المتقي تلميذ الإمام المحدث علي المتقي صاحب « كنز العمال » السالف الذكر . وكان الشيخ عبد الوهاب المتقي وحيداً بين معاصريه بنظرته العميقة وبصيرتـــه النافذة في علوم الحديث ، وكان مثله مثل قاموس حي وموسوعة متحركة للعلوم الإسلامية التي تجمع بين طياتها علوم الفقه والحديث والصرف والنحو والأدب (١) .

فلما انتهى طالبنا إلى الشيخ عبدالوهاب أخبره بالأسباب التي أدت به إلى الرحيل إلى مكة المكرمة قائلاً : « ياسيدي إني أمرؤ نشأت من صغري في الرياضة للتعلم والتعبد ، لم أعتد صحبة الناس والاختلاط بهم والدخول فيهم ، فلما حصل لي بفضل

(١) أخبار الأخيار ص ٢٦٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الله طرف صالح مما أريد ، وقضيت وطري وحاجتي مما هنالك دعاني بعض أهل الحقوق إلى الخروج إلى أرباب الدنيا ، فأدركت سلطان الوقت والأمراء فاعتنوا بشأني ، ورفعوا مكاني ، وأرادوا أن يكثروا بي سوادهم ، ويُحكموا ويُعدوا بهذا الضيف صورهم وموادهم ،فحماني الله ولم يتركني معهم ، وأوجد في قلب عبده جذبة هدته إلى هذا المقام الشريف (١) .

فقبله الشيخ عبد الوهاب المتقي في حلقة درسه واهتم بتدريسه وتعليمه اهتماماً خاصاً ، فقرأ عليه كتاب « المشكاة » للبغوي في علم الحديث قراءة شاملة ، وكتاب وقواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة ، وبعد أن حصل على الإجازة من الشيخ عبد الوهاب التفت إلى علماء الحجاز الآخرين وقرأ عليهم جميع كتب الحديث والعلوم الدينية .

بعد فراغه من تحصيل علوم الحديث في الحجاز أراد الشيخ عبد الحق الدهلوي أن يختار الحرم المكي وطناً له ويستن بسنة أستاذه الشيخ عبد الوهاب المتقي وأستاذ أستاذه الشيخ علي المتقي ويقوم بخدمة العلوم الإسلامية وخاصة منها علم الحديث . ولكن أستاذه الشيخ عبد الوهاب أصر عليه أن يرجع إلى وطنه . بلاد الهند ، ويقوم بنشر تعاليم الإسلام الحنيفة السمحة السهلة ، وبث نور الإسلام في ظلمات الهند . فلبّى طلب أستاذه ورجع إلى الهند حيث وصل في سنة ١٠٠٠ هـ .

واشتغل الشيخ عبد الحق بتدريس علم الحديث وأقام لهذا الغرض

---

(١) كتاب المكاتيب والرسائل للإمام المحدث عبد الحق الدهلوي ص ٢٧٩ نقلاً عن حياة الشيخ عبد الحق المحدث للنظامي ص ٩٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مدرسة في دهلي واختار لها منهجاً دراسياً يختلف عن المناهج الدراسية بالمدارس الهندية الأخرى اختلافاً جوهرياً هدفياً ، فكان كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هما الأساسان اللذان بنى عليهما بناء العلوم الأخرى والجهاز التعليمي والنظام الدراسي ، ولم تكن حالة الهند الدينية عند وصوله إلى وطنه كما كانت عند مغادرته إلى البلاد العربية بل أصبحت أسوأ منها بكثير .

ونقل إلينا المؤرخ عبد القادر البدايوني الكثير عن أحوال الهند في النواحي الدينة والثقافية والفكرية في العقود الأخيرة من القرن العاشر الهجري وفي مستهل القرن الحادي العشر ؛ فكان أمبراطور المغول جلال الدين محمد أكبر متربعاً على عرش الامبراطورية يدعو الناس إلى نحلته الجديدة ويقرب الهنادكة والفرق الضالة إليه ، وكانت المتصوفة الزائغة تكدر مناهل الإسلام الصافية بأفكارها المستوردة ، فكان شبه القارة في حاجة إلى علماء وقادة فكر يكافحون للقضاء على الحركات الهدامة ولاحياء النظم الإسلامية الصحيحة ، لتتحول مسيرة الفكر الهندي من إلحاد إلى الإسلام .

عمل الإمام المحدث في جميع هذه الاتجاهات ، فحض كثيراً من أعيان الحكومة على إحياء السنة والقضاء على البدعات ، وكافح لتصحيح المفاهيم الإسلامية من التمويهات الضالة التي نشرها الصوفية الباطلة ، وأعلن بصراحة أن كل حقيقة ردت عليها الشريعة فهي زندقة (١) .

كتب لنيل هذا الهدف كتباً ورسائل وألقى محاضرات ودروساً ،

---

(١) كتاب المكاتيب والرسائل ص ٤٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال في كتابه « مرج البحرين » :

« التصوف محتاج إلى الفقه أما الفقه فمستغن عن التصوف ، ومهما كان التصوف أعلى وأرفع فـــإن الفقه أعم مصلحة وأسلم ، ولذا قال بعضهم : كن فقيهاً صوفياً ولا تكن صوفياً فقيهـــاً ، يعني الفقه والعمل بالشريعة يتقدم كل شيء »(١) .

وكان يعتقد أن كل مايقوم به من نشر التعاليم الإسلامية الصحيحة هو بأمـــر من الله تبارك وتعالى ، فقال : إن هذا العبد مأمور ألا يتكلم إلا في القضايا الدينية الهامة وشؤون الأمة التي هي باعث تنفيذ الشريعة وتجديدها وسبب المحافظة على عقيدة السنة النبوية وأحكامها ،وألا يخرج عن دائرة الاعتدال والاحتياط ولو خطوة (٢) .

وعلاوة على كل هذا كتب إلى كبار أعيان الدولة وحثهم على النهوض ضد التيار الإلحادي الذي هاجم شبه القارة في منتصف القرن العـــاشر أثارَ فيهم الغيرة على خيبة الإسلام وأهل الإسلام في ديار الهند ، وكان بين من كتب إليهم الوزير المغولي عبد الرحيم خان خانان ونواب مرتضى خان وغيرهم . ولما توفي الامبراطور جلال الدين محمد أكبر كتب الإمام المحدث رسالة طويلة إلى الشيخ فريد وأوصاه أن يقدمهـا إلى الامبراطور الجديد نور الدين جهانكير ويقرأها عليه ويلخص له معانيها ومطالبها . وكان عنوان الرسالة : تنبيه الغافلين بفنـاء الدنيا وأربابها ، وإغترار الجاهلين بزخارفها

(١) مرج البحرين للامام الدهلوي ص ٨٦ – ٨٧

(٢) كتاب المكاتيب والرسائل ص ٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأسبابها . ثم زار الامبراطور في السنة الرابعة عشرة من جلوسه على العرش ، فأجلّه الامبراطور واحترمه ، ولكن الأمبراطورة الشيعية نورجهان كانت تنفر منه وتبغضه .

كان الإمام المحدث عبد الحق الدهلوي من كبار قادة حركة نشر الحديث وتصحيح المفاهيم الإسلامية في شبه القارة ، ولم يسبقه في ذلك أحد من معاصريه سوى الإمام المجدد أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي إلا أن الفضل الأكبر في نشر الحديث يرجع إلى الإمام عبد الحق ، فعكف على تدريس علوم الحديث أكثر من نصف قرن ، وقرأ عليه الحديث في هذه المدة آلاف وآلاف من طلبة الحديث من جميع أنحاء الهند وخارجها ، وألف بالإضافة إلى ذلك سلسلة من الكتب في علم الحديث باللغة الفارسية التي كانت اللغة السائدة في الدوائر العلمية . ونذكر فيما يلي بعض مؤلفاته في علم الحديث .

١ ـ لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح ، باللغة العربية . وله نسخ كثيرة خطية موجودة في كثير من المكتبات العلمية في شبه القارة . وطبع مجلدان منه في سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م في مطبعة مكتبة المعارف العلمية بلاهور ، وستتلوه مجلدات أخرى ، إن شاء الله . ويقوم بتصحيح نسخ الكتاب ومقارنة مخطوطاته الأستاذ محمد عبيد الله المفتي مدير المدرسة الأشرفية بلاهور ، الذي أضاف إليه تعليقات موجزة في بعض المقامات ، وذيله بفهارس بسيطة عن موضوعات الكتاب وعن أسماء الرواة وعن الكلمات الأولى للأحاديث التي أخرجت في الكتاب .

٢ ـ أشعة اللمعات في شرح كتاب المشكاة ، باللغة الفارسية في أربع مجلدات ، طبع مراراً في الهند وباكستان طبعاً حجرياً ، وقدم

هذه نسخة مصورة من موقع الألوكة بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الإمام لهذا الكتاب مقدمة بسيطة في علم الحديث وأصوله وتراجم كبار المحدثين .

٣ ـ رسالة في أقسام الحديث ، باللغة العربية . طبع مراراً ، وطبعت ترجمته الأردوية .

٤ ـ ما ثبت بالسنة .

٥ ـ جامع البركات في شرح منتخب المشكاة ، باللغة العربية .

٦ ـ مطلع الأنوار البهية في الحلية النبوية . توجد منه نسخة خطية في مكتبة الجمعية الآسيوية البنغالية .

وبالإضافة إلى خدمة الحديث النبوي ألف كتباً أخرى لعبت دوراً هاماً في تصحيح المفاهيم الإسلامية ، وتصفية الأباطيل الفكرية الإلحادية .

١ ـ مدارج النبوة ، باللغة الفارسية . وهو أحسن كتاب ألف في السيرة النبوية في الهند ، ويحتل مكانة مرموقة في الأدب الإسلامي الذي قدمته شبه القارة خلال القرون ، ولعب هذا الكتاب دوراً هاماً في القضاء على الإلحاد الأكبري الذي كان يهدف إلى الحط من صلة مسلمي الهند بشخصية رسول الله ﷺ . طبع هذا الكتاب مراراً ، ونقل إلى اللغة الإردية ، وطبعت الترجمة الإردوية في كراتشي قبل عدة سنوات .

٢ ـ تحصيل التعرف في معرفة الفقه والتصوف ، باللغة العربية . وفيه محاولة للجمع بين الفقه والتصوف .

٣ ـ الرسالة السلطانية : كتبها إلى الامبراطور المغولي نور الدين جهانكير لبيان قواعد الحكم ومبادئه في الإسلام ، وآداب الحكم والسياسة . وكان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأمام المحدث من الذين ساعدوا الأمير جهانكير وآزروه على اعتلاء العرش الامبراطوري ضد أخيه الذي كان من أنصار الإلحاد الأكبري .

٤ ـ أخبار الأخيار في أحوال الأبرار ، باللغة الفارسية . طبع مراراً وترجم إلى اللغة الإردوية ، ويوجد كثير من نسخه الخطية في مكتبات الهند وباكستان واوربا . جاء المؤلف فيه بتراجم علماء الهند ومشايخها ابتداءاً من الخواجه معين الدين الجشتى الاجميري وانتهى إلى معاصريه . وهذا الكتاب من المصادر الموثوقة عن تاريخ شبه القارة الإسلامي وعن الحالة الدينية في العصور المختلفة .

٥ ـ آداب الصالحين ، باللغة الفارسية . وهو خلاصة كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي . طبع مراراً بالفارسية وترجم أيضاً إلى الإردوية .

٦ ـ آداب اللباس ، باللغة الفارسية . لم يطبع حتى الآن ، وتوجد منه نسخ خطية في عدد من مكتبات أوربا وباكستان والهند .

٧ ـ زبدة الآثار في تلخيص بهجة الآثار ، باللغة العربية ، في سيرة الصوفي الشهير عبد القادر الجيلاني . وبهجة الآثار هو من مؤلفات الشيخ نور الدين أبي الحسن على المتوفي ٧١٣

٨ ـ زاد المتقين . وهو في أحوال مكة المكرمة وفي سيرة علمائها ومشايخها ، وانطباعاته حول إقامته بمكة المكرمة . ونسخه الخطية في مكتبة المتحف البريطاني والمكتبة الآصفية بحيدر آباد .

٩ ـ التاريخ الحقي ، باللغة الفارسية . يبحث عن تاريخ الهند الإسلامي منذ ظهور الإسلام في شبه القارة وبدء الحكم الإسلامي حتى آخر القرن العاشر الهجري ، وهو كتاب مهم ومصدر موثوق به بين مصادر تاريخ الهند .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

توجد منه نسخ خطية في عدد من مكتبات باكستان والهند وأوربا . ولم يطبع كامله بالأصل الفارسي ، وطبع جزء منه باللغة الانكليزية في مجموعة ايليوث .

١٠ ـ جذب القلوب إلى ديار المحبوب ، باللغة الفارسية . وفعلاً كتبه لجذب قلوب المسلمين في شبه القارة إلى ديار الحبيب ﷺ ، وهو يبحث عن تاريخ الحرم النبوي وفضائله وأخبار سكانه ، وحادثة الهجرة وكيفية مباني المدينة المنورة وفضائل المسجد النبوي وأماكن المدينة المنورة الأخرى . وكان لهذا الكتاب دور بارز في القضاء على المؤامرة الهندوكية ضد النبوة المحمدية على صاحبها ألف ألف صلاة وتحية .

١١ ـ تكميل الإيمان ، باللغة الفارسية . وهي رسالة في التوحيد والعقائد على طريقة أهل السنة والجماعة . طبعت مراراً في الأصل الفارس وطبعت ترجمته الإردوية أيضاً أكثر من مرة .

١٢ ـ ويروي المؤرخون مؤلفاً له عن التفسير ، وهو كتاب « تعليق الحاوي على تفسير البيضاوي » . وكان باللغة العربية ولكن لاتوجد منه نسخة .

١٣ ـ زاد المتقين . وهو في أحوال مكة المكرمة ، وفي سيرة علمائها ومشايخها ، وفي انطباعاته ومشاهداته في إقامته بالبلد الحرام . وكتب هذا الكتاب لتشويق عامة المسلمين في شبه القارة إلى زيارة الحرمين الشريفين ولتوطيد الصلات الروحية والدينية بين الهند ومكة المكرمة . لم يطبع هذا الكتاب حتى الآن ، وأما نسخه الخطية فتوجد في المتحف البريطاني والمكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن بالهند .

١٤ ـ مطلع الأنوار البهية في الحلية النبوية . لعله يشتمل على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

شمائل النبي ﷺ وعاداته الشريفة وحليته الكريمة . ولم يطبع حتى الآن وتوجد نسخة خطية منه في مكتبة الجمعية الآسيوية البنغالية .

هذه هي مؤلفات الإمام المحدث عبد الحق الدهلوي الذي أضاء في شبه القارة في حاضرة الإمبراطورية الإسلامية – دلهي – شمعة الحديث وبث أشعة النور النبوي في أنحاء الهند ، واشتغل في تدريس علوم الحديث أكثر من نصف قرن ، وتوفي إلى رحمة الله في الواحد والعشرين من ربيع الأنور عام ١٠٥٢ هـ وهو إذ ذاك ابن أربع وتسعين . رحمه الله تعالى رحمة واسعة ورضي عنه وأرضاه .

إسلام آباد **محمود أحمد غازي**

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net